# اغتيال ذاكرة

مجموعة قصصية

# تقديم

تصدر هذه المجموعة القصصية في الذّكرى التاسعة والستين للنكبة الفلسطينية، تلك الذكرى التي تشيخ يومًا بعد يوم، ولكنها تزداد قوّة وألمًا في قلوب ملايين الفلسطينيين وأحرار العالم، فمتى تنتهي؛ ليرجع الحق لأصحابه، وتنفض القلوب عن أوردتها غبار اللجوء والترحال؟!

حاولنا في هذه المجموعة القصصية التي كتبت بين تنهيدة ودمعة الحاج حسن، لأن زيت الزيتون لم يكن حاضرًا على سفرة الفطور ذات يوم، وما أبكاه زيت الزيتون، بل كان يتحجج كي لا تفضحه ذكريات البلاد، وبين ضحكة الحاجة شوكية على ممازحة حفيدها لها، وصدمة وصمت الحاج أحمد الذي زار بيته القديم في يافا بعد عشرين عامًا من الرحيل القسري ليشاهد امرأة غربية تطهو الطعام لغرباء مثلها استوطنوا بيته، وأخذوا منه ذكرياته وصوت العائلة، وأبقوا على وجع الحنين ورَجع الصدى.

كتبت هذه القصص في فيئة كُروم العنب واللوز البعيدة عن أعين البنادق وسارقي التاريخ، كتبت لتخبرنا عن فصول الحب، وحكايات الجد الصغير، ووجع الصور، وعن لون الطحين الذي تغيّر، وعن زفة عرسٍ لم تكتمل؛ لأن الأعداء قد خرّبوا القلوب، فرفض الناس إلا أن يقيموا العرس فكان عرسًا على طريق الهجرة.

لقد أردنا لهذه المجموعة القصصية أن تكون وثيقة على لسان من عاصروا تلك الفترة، لتصبح الشاهد المضارع على ما كنا فيه من حب وسلام وتضحية، وما أصبحنا عليه من وجع وألم وموت مستمر.

أولت جمعية الثقافة والفكر الحر الاهتمام بتدوين التاريخ وحفظه لينتفع به كل الباحثين عن الحقيقة بمساهمة فريق من الكُتّاب الشباب شاركوا في البحث عن تاريخهم وعاداتهم ليكتبوها ويفخروا بها، راجين اللّه أن يكون عملهم تذكرة ولو صغيرة للعودة والتحرير.

**المركز الثقافي**

تصوير محمود الحاج

# الجد الصغير

الكاتب/ وليد العقاد
اسم الراوي/ محمد عبد القادر صقر مواليد ١٩٣٦ [١]
البلدة / حمامة [١]

احتضنت شجرة البرتقال عُمرين وصمتًا، صمتٌ لم تبدده سوى تلك النّسمات الرطبة التي تدغدغ قاموس الذكريات، لم أنتبه، كيف تسلّلت تلك الذكريات إليه، ولم أفطن لأول الكلام، ولكني كنت أشعر بصوته يُغازل شغاف قلبي بالحنين إلى تلك القرية، قرية «حمامة» ، كأنّي كنتُ ذات يومٍ هناك.

نظرت إليه، حيث كان ستار الجفن منسدلاً على عينيه، فيما وجهه يمثل لوحة من تاريخ مضى، وحاضر حزين، وشفتاه تتحدثان كأنهما يوشوشان سرب البلابل المجاور للشجرة الأم، رويدًا، رويدًا بدا الكلام أكثر وضوحًا، وبدا الصوت أكثر قوّة، فأدركته يقول:

«قبل النّكبة لم يكن عمري يتجاوز اثنى عشر عامًا – ساق اللّه على أيام زمان – كنا نصنع سعادتنا من أشياء بسيطة، مثل الحجارة مثلًا، أو الكرتون، وقطع القماش البالية، كنا نصنع منها ألعابنا، كلعبة «النقيفة»[٢] لصيد العصافير، أو إسقاط الثمر عن الأشجار العالية، وأحياناً كنا نمازح بها الآخرين بشكل عنيف. ولعبة «الدحريجة»[٣] أيضًا التي كنا نستخدمها في التّسلية والمرح معًا وأحيانًا للتسابق بيننا كفتية، واسترسل متذكرًا لعبة «البنانير أو القلول»، حيث كنا نمارس هذه الألعاب بشكل جماعي، وكنا نفتخر ببطولاتنا وانتصاراتنا فيها، واستكمل حديثه عن لعبته المفضلة، وهي كرة القدم، حينها استفزني السؤال فقاطعته قائلاً: «هي الكرة كانت من القش ولا متل أيامنا هاي من المطاط»؟!، ضحك قائلاً: كانت من بقايا الملابس، وخاصة الجوارب، وأحياناً من أكياس كنا نحشوها لتصبح دائرية الشكل، كنت لعيباً محترفاً، كان يقول ذلك وجسده يتحرك بإيماءات معبرة، في محاولة لتمثيل الواقع.

بدا سعيدًا كأنه لم يرحل عن قريته، لم يفارقها، وفي نفس الوقت بدا متأثرًا مُثقلاً بألم الذكرى، وقبل أن يزحف هذا الألم إلى تعابير وجهه، ويتمكن منه، قررت التوقف لتركه مع ذكريات الصبا، فقد قابلته هرمًا، وانتصاري أنني سأتركه صبيًا مفعمًا بالحياة، كصقر هرم استعاد دورة العمر بعد تحليق طويل.

---

١ – قرية حمامة: بلدة مهجرة في الجنوب الغربي من ساحل فلسطين التاريخية قبل النكبة عام ١٩٤٨ ، وأقيمت في موقع قرية يونانية عرفت باسم «باليا» بمعنى حمامة وكانت تتبع ما يعرف بقضاء المجدل (عسقلان).

٢– النقيفة : هي تتكون من شعبة من أعواد الأشجار على شكل حرف (y) ، حيث يربط كل طرف من أطراف الشعبة جلدة مطاطية، تشد الشعبة أو الجلدة ، ثم يُفلت المطاط بعد شده فينطلق الحصاة منها .

٣– الدحاريج أو الدواليب حيث يتم صناعتها من أسلاك سميكة وقوية تكون على شكل دائرة بقطر عجلة سيارة كبيرة. يتم دحرجة الدولاب بواسطة سلك آخر (ثخين) ومعكوف يوضع ملتفاً حول الدولاب ليبقى مربوطاً به ودافعاً له. ومنها أشكال أخرى.

# الصور مؤلمة عندما يغيب أصحابها

الكاتب / أدهم العقاد
الحاجة /غالية أبو سعيد
البلدة / عسقلان

ذكرياتك القديمة التي ترفرف كسرب حمامٍ داخل رأسك، تلازم أعشاش الأيام، تضع أطفالها ليكبروا كقلوب حزينة، وحده الموت من يقف بعيدًا، يعتمر قبعة صياد وبيده بندقية.
يقفز الوقت إلى حضن الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل، محاولة إيصال رفضي لصديقتي عن فكرة الارتباط، وعلى سريري المتآكل تنام جميع أجزائي مكانها عدا قلبي، أهملتُ هاتفي، وأشعلتُ إنارة أفكاري دافعةً أطرافي للاستيقاظ والبحث عن قلبي الهارب. ودون اذن اقتحمت بيت العنكبوت تحت السرير فلم أعثر عليه، فيرن الهاتف فجأة وإذ بصديقتي «إيناس» تتصل. كانت تبكي بحرقة وأخبرتني أن جدتها تحتضر، للوهلة الأولى لم أصدق وشعرتُ بأن ما في عروقي من دم قد تجمّد، وصار رأسي الثقيل فارغًا – كلما ذكر الموت أمامي شعرتُ وكأن موعد رحيلي يقترب – بنفس نبرتها الحزينة أخبرتها رغم هشاشة صوتي بأن الموت نهاية مريحة وصادقة، توقفت الساعة عن الدوران حينَ أغلقت سماعة الهاتف.

فتجيب: جهزتُ نفسي لمراسم التشييع وارتديت الأسود ثم خرجت بكل ما فيّ من حزن، وحين وصلت منزل إيناس لم أجد أرصفةٍ تبكي ولا جدران تنوح ولا الناس كما عهدتهم، ظللتُ أفكر وأعود بذاكرتي لليلةِ الماضية وأتساءل: هل كان كابوسًا؟
حقيقة لم أجد إجابة لكل الأسئلة التي راودتني، وفي طريق العودة صادفت والدها، إنه يعرفُني جيداً، وعَدا عن أنه جارنا وصديق أبي فأنا كنتُ من المتفوقات لديه في المدرسة وكان مصرًا على اصطحابي لتناول طعام الإفطار في بيتهم ورؤية إيناس.

لم أستطع الفكاك منه، فذهبت واتخذنا من الحديقة مائدة فأتت إيناس بصحبة جدتها «غالية» على كرسيها المتحرك، نظرتُ إليهما بحنق في بداية الأمر لكني تذكرت بأن الجدة لا ذنب لها بما فعلت إيناس، تناولنا طعام الإفطار وجلسنا نتبادل أطراف الحديث، وحدها الجدة ظلت تتمتم حاولتُ جاهدة أن أسرق بعضًا مما كانت تتمتمه، تخرج الجدة ألبومًا للصور ويتحول الصباح من غامق إلى رمادي، على عجلة تقلب الصور، صورة واحدة تعمقت بها فتسللت الدموع من عينيها وكأن البلاد تنهمر مرة واحدة أمامنا، يسأل أبو أحمد عن الصورة التي تحتضنها الجدة؟ – تُجيب: هذه «عائشة».

فترحمنا جميعًا عليها، ولكي أغير لون الصباح الحزين طلبتُ من الجدة أن التقط صورة بصحبتها وفعلتها، وبنبرة حزينة قالت: « هلقيتا بتظل الصورة واحنا بنموت» شعرتُ برغبةٍ ملحةٍ للبكاء، لستُ أدري لمَ وكيف! ولم يعد يهمني حتى لون الصباح.

_ أخبريني يا جدة مَنْ عائشة؟ ولماذا بكيتِ؟ هل كانت صديقتك المقربة؟

_ ليست مجرد صديقة مقربة فحسب هي الأخت والأم والصديقة، هي كل شيء لم يعد له وجود !

– وكيف ماتت؟

_ فيما مضى في «عسقلان»[1] كنا ننتظر موسم صيد «الفِر»[2] حيث ننصبُ الشِّباك على طول ثلاثين إلى أربعين مترًا، وفي صباحٍ أشرقت الشمس فيه مبتسمة، قرّرنا الصيد؛ لكن لا ترخيص بحوزتنا. كان والدي يذهب ليأتي لنا بالترخيص من الحاكم الإنجليزي بغزة، كان ثمنه ليرة واحدة على ما أذكر، لكن والدي يومها لم يستطع الذهاب بسبب مرضه ، فقررنا الذهاب مع شباب القرية لجلب الترخيص، بعد أن تجمعنا وسط القرية وكلٌ منَّا أحضر معداته ورخصته حيث كانت الرخصة تشمل ثلاثة أشخاص يسمح لهم بالصيد عليها، كنتُ أنا وعائشة وأمينة وولدها وشقيقها الأصغر، وما إن وصلنا الى هناك نصبنا الشباك، وجلسنا نتبادل الحديث، وفجأةً هاجمتنا عصابة مسلحة تتبع للإنجليز.

_ أين الرخصة؟ أخرجناها لهم ولما وجدونا خمسة استوحشوا على «أبو فيصل» ومحمد فضربوهما وألقوا الشتائم علينا، وطردوا «أبو فيصل» وعائشة.

بقيتُ أنا وأمينة ومحمد نصطاد إلى أن آوت الشمس إلى مهجعها، فعدنا وبصحبتنا ما اصطدناه، ووصلنا القرية وجلسنا هناك .. آهٍ من هناك، بحثنا عن عائشة ولم نجدها .

كانت تنام عند جارتنا، والداها أُستشهدا من «الهاجاناة»[3] الصهيونية، ومن ثم ذهبنا «لأبو فيصل» كان نائمًا منهكًا من الصفعات، أيقظناه وسألناه عن عائشة فقال أنها ذهبت ولم تقل إلى أين، ومرت الأيام إلى أن هاجمتنا العصابات الصهيونية وهجرونا من عسقلان إلى غزة قسراً.

في نهاية الحديث الذي سرق الوقت كُله، شعرتُ بفضولٍ يعتريني بأن أرى عائشة ولو لمرة واحدة، طلبتُ من الجدة أن تريني صورتها وحين تبدلت ملامح جدتي أخرجت من الصُرة صورة لا ملامح فيها، تمعنت كثيراً في تفاصيلها، لم أجد شيئاً سوى عسقلان متربعة وسطها.

---

١ – عسقلان : أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع في جنوب فلسطين على بعد ٦٥ كم غرب القدس. أسس الكنعانيون المدينة في الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت أحد موانئ الفلسطينيين القدماء على ساحل البحر المتوسط.

٢– الفر: هو طائر السمان، نوع من أنواع الطيور المتوسطة الحجم وتعتبر بوجه عام من رتبة الدجاجيات .

٣– الهاجاناة : هي تكتّل عسكري في الجيش البريطاني في الفترة السّابقة لإعلان دولة إسرائيل. كان الهدف من تأسيسها الدفاع عن أرواح وممتلكات المستوطنات في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني .

# بربراوي يا عنب

الكاتب/ كريم ناصر أبو الروس
الراوي/ الحاجة عائشة شحادة
القرية / بربرة

ما أن تستمع لتفاصيل الحياة في بلادكَ التي لم ترها، حتى تأتيك السعادة من أفق هذا العالم البائس، وتصيبك اللهفة للقاء الأرض التي وُلدت وأنت تحن لها، صباح هذا اليوم لم يكن في خاطري إطلاقًا أن هذه الدقائق ستأخذني في نزهة مع البلاد ومع حكاياتها التي لا تنتهي عادة إلا بالدموع.

هنالك دمع في المكان، وحنين، وصوت خافت مملوء باللهفة والحزن، لن يحدثك أحدٌ عن البلاد إلا ويكون قلبه محروقًا، وبداخله غصّة لا يمكن تفسيرها بالكلمات، الحاجة عائشة كانت متزوجة ولديها طفل صغير، وُلد في حضن الأرض، وكان وطنًا فيما بعد لعائشة، كان وطنها الذي افتقدته وفقده الجميع.

جلستُ إلى جوار الحاجة عائشة التي هُجرت من قريتها «بربرة»[1]، تفسر لي حنينها إلى قريتها وتثني وتباركُ طبيعة العلاقات التي كانت بين الناس في ذلك الوقت، ثم تجول في تفاصيل الأعراس وبيوت العزاء ومواسم الحصاد، وزراعة العنب.

يا جدة كيف هي البلاد؟

_ «عروسة يا ابني وكنا إحنا طرحتها»، وتكملُ « واللّه كنا مكيفين»، ثم قاطعتني بملامح غاضبة لتحدثني عن يوم الهجرة من القرية: « كنت متزوجة وأعيش في بيت العائلة، وولدت ابني الأول في البلاد، كنا نقوم بعملنا كغيرنا من الناس في القرية، ولكن في ذلك اليوم، وهو اليوم الذي لا أنسى مشاهده وكأنها تمر أمامي الآن، سمعنا صوت انفجار ضخم ورشاشات ثقيلة ورأينا الناس تهربُ.

لم نفهم شيئًا سوى أنه يجب علينا الرحيل – في ذلك الوقت سيمر أمامك شريط حياتك كله، وكأنك تشاهد فيلمًا سينمائيًا، ستتذكر كل اللحظات المرحة والسعيدة، وستمر كل الوجوه التي تحبها أمامك، ستفقد الأرض بعد لحظات، كان هذا ما حصل معي – وفجأة سمعنا صوت انفجار كبير، وضعت نفسي فوق طفلي، وخبأته في حضني، خفت أن يحدث له مكروه، وصرتُ أفتش عن مكان آمن للهرب من وقع الفوضى التي لم نعرف لها سببًا، إلى ذلك الوقت – يا ابني – لم نكن نفهم لماذا حصل كل هذا؟.

_ صرنا نتجمع كلُ مجموعة تمشي وحدها، لم أشعر بتعب حمل طفلي في الطريق، كنتُ أفكر كثيرًا في مصيرنا،

---

١ – بربرة: قرية فلسطينية بين غزة ويافا. كانت جزء من قضاء غزة حتّى طرد منها أهلها عام ١٩٤٨ وتبلغ مساحتها حوالي (٢٣٠٠٠) دونم.

٢– هناك العديد من اللهجات الفلسطينية، ومنها من يتبدل فيها لفظ حرف «القاف» بالكاف. وهـ لغيت أو هـ لكيت تأتي بمعنى الآن.

إلى أين نحن ذاهبون؟ وماذا سيحصل لنا؟ وهل سنعود؟ من هؤلاء الذين يقتلوننا؟
وما إن وصلنا إلى حدود غزة آخذين معنا الكثير من الناس من قرى مختلفة، يخنقنا التعب، ومع ذلك كان همنا الأكبر من سيحصد الزرع؟ وهل سيحزن العنب؟
«هلكيت»، يا ابني العنب زعلان»، وعلينا أن نعود لنعطيه الفرح من قلوبنا ومن أعيننا، علينا أن نكون أهل الأرض لأننا أهلها، لا أنسى شيئًا يا بنُي، لا أحاول أن أتذكر سوى أرضي وحرثي وجمال بلادي.
سنعود يا جدتي، سنعودُ ولن تكون عودتنا عادية، سنمشي حافيي الأقدام إلى القدس وسنزرع في صدورنا حدائق لتمتد فيها كروم العنب. سنملأ الوطن بالأغنيات، سنهدي بيوت اللاجئين والعائدين «غصون الزيتون» سنرسم الشعارات على جدران المنازل العتيقة ونُعلّق صور الفدائيين فوق المعابد، إنه ليس حُلمًا، إنه حقيقتنا حتى وإن لم تكن الآن، فنحن والأرضُ قصة لا تنتهي.

# جدتي ليست هنا

الكاتبة/ نور شعث
الراوي/ فاطمة محمد حسين دحلان
البلد/ حمامة

الحقيقة الوحيدة التي يؤمن بها البشر سواسية هي الموت، وحين تسأل عن الموت تشاهد سواداً قاتمًا، يُذكرك بأحبتك الذين رحلوا، وبالأشياء القريبة إلى خلدك، أما نحن كفلسطينيين نتذكر وطننا، أرضنا، حقول الحمضيات والكروم، ورائحة الشواطئ المسلوبة.

– انكمشَ جسدها، وانغمر داخلِ حُزنها المُختزن منذ عقودٍ قديمة ، فتراها على الدوام باكية، كأن الحُزن يتدحرج من مُقلتيها حتى حُنجرةِ صوتها الذي لا يُمكن اخفاؤه.

الحُزن موتٌ أسود وكأنه «وطواطٌ»[1] ينقضُ على المرء فيأكل منه نصف عُمره، ماذا كانت تفعل النساء في مراسم العزاء؟ سألتها بفضولٍ عن الموت كونه آخر الأشياء التي تستفزُ فُضولي.

تربعت جدتي ووضعتُ رأسي على حجرها وبدأت تسردُ حكايتها: في اليوم الثالث من شهر شباط كنت أبلغ من العُمر تسع سنوات، في ذلك العمر تُوفي أخي، كانت النساء يصبغن الملابس باللون الأسود وتبدأ النِسوة بـ«النّواح»[2] تسكت إحداهن وتُكمل الأخرى نحيبها، كنّ يلطمن حتى تصبح وجوههن كلون غيوم الشتاء.

أما أهل الحي فكانوا يتضامنون مع أهل الفقيد حتى أنهم لا يأكلون اللّحوم حتى مُرور ستة أشهر على الوفاة، وأهل الميت لا يطهونه أيضًا حتى حولٍ كامل.

– لماذا كُل هذا يا جدتي؟

كنا نعتبر _ يا بنيتي _ أن اللحوم تعبر عن الحياة الرغيدة، سيّما أن الذبائح واللحوم التي تقام عليها الولائم كانت تعبيرًا رمزيًا عن الفرح والمناسبات السعيدة، والميت يحتاج الحِداد عليه بِكلِ شيء، حتى في الطعام .. هكذا كانت عوايدنا.

الموتٌ له تقاليده وحُرمته، حتى الفتيات من أهل بيت الميت لا يضعن الماء على جُلدوهن حتى تنقضي فترة الحِداد، كانت الزوجة لا تغتسل البتة حتى تنتهي فترة حِدادها على زوجها. كُنا إذا صلينا العيد ذهبنا لِمقابر الأموات وقدمنا واجب العزاء لأهاليهم، كُل عائلة كانت تنصبُ بيت العزاء في المقبرة مرّة أخرى، نمرُ على أهالي الأموات ومن ثُم نعودُ إلى بيوتنا.

---

١ –وطواط : حَيوان لبُون من فصيلة الخَفّاشيّات ورُتْبة مُجنّحات الأَيْدي. مَوْطنه البلاد المُعتدِلة الحَرارة، جِسْمُه رَبْع القدّ يُشْبه الفأرة.

٢– النواح: صوت المرأة وعويلها مع بكاء على الميت.

في مرةٍ أرادت أمي أن تأخذني كي نُعزي جارتنا في زوجها ، ولم أكن أعلم ما هو الواجب آنذاك، لقد كنت صغيرة، ولبست ثوبًا فيه بعض الألوان، فنهرتني أمي وطلبت مني أن أبدّل ملابسي إلى اللون الأسود، احترامًا لمشاعر الزوجة.

تراجعت الجدة في جلستها قليلًا وأرخت ذراعيها لتريحهما وهي تقول: الموت واحد لكن تقاليد العزاء اليوم لا تشبه ما كنا عليه بالأمس، اليوم من كثرة الموت صرنا ننسى من فقدنا بالأمس ونتزين باللِباس المُلون بعد فترة قصيرة، أريدُكم يا ابنتي أن تدعوا لي بعد موتي، وأرجوا أن لا تبكوا عندما تسير الجنازة، فقط أُدعوا لي بالرحمة .. قبّلتها وارتميت في حضنها: لو جاء الموت سأقول له أنك لست في المنزل يا جدتي».

# حفل زفافٍ على طريق أسدود

الكاتب / كريم ناصر أبو الروس
الراوي/ الحاجة شفيقة يوسف وهبة
القرية/ بينا [1]

في البلادِ صوت النساء يتعبُ خطواتِ المستعمرين والجلادين، وللوطنِ حفل أخير لمغتصبيه، حفلٌ راقصٌ لكل أولئك الذين لم يروا شفاه الأحباء ترسمها الأنوار.

كنتُ قد أنهيت توزيع دعوات فرح أخي الأكبر، وصولاً إلى الحاجة أم سمير التي تجلس على عتبة الدار وتوزع ابتساماتها على المارة، والتي أصرت أمي على دعوتها لكونها وطناً في أهازيجها؛ حيث يصير للزفاف نكهة تراثية، فتوقفتُ أبحث عن الدعوة الخاصة به.

أمسكت بالبطاقة متأملة فحواها، وبعد صمتٍ طويلٍ فاجأتني قائلة: «مرق فلان من حارة مرق، ورقبته شبرين وهيك الله خلق».

لم تعطِ أي اهتمام لدعوة الزفاف التي قدمتها إليها، ولكنها سرحتَ طويلاً ممسكة بيدي تحدثني عن يوم زفافها الذي لم يكن زفافًا في تعبيرنا، لم يكن حديثها يشبه سابقه، هذه المرة كنت أشاهد فيلمًا حزينًا لا بد أن يشاهده كل العالم.

تنظرُ إلى السماءِ وكأنها ترى كل تلك اللحظات على الغيم مرتسمة، وكأنها ترى نفسها مثل العروسة المبتهجة فرحًا ببدلة العرس، تارةً تضحكُ ببراءة وتارةً أخرى تغضبُ مثل حديد البارود في الحروب.

تتمتمُ بكلمات لا أفهمها: «وضعت البدلة في «المطمورة»[2] أنا وأمي، وإحنا طالعين كان نفسي ألبسها». بدأت تتضح لي الفكرة، بأن أم سمير لم تفرح بحفل زفافها في قرية «بينا»[3] قبل الهجرة، فسألتها عن ذلك بضحكة بريئة، شو كيف عرسك كان؟ فقالت: أتوا لي بالحنةَ والفطير، وقال والد العريس «يوسف» أن المهرَ ستون ليرة

فلسطينية، كنتُ ابنة الرابعة عشر في ذلك الوقت، ولي عملٌ محدد، أخيط الأثواب وأحصد مع أبي في المزرعة، وأجمعُ البيض مع أمي من أقنان الدجاج، هكذا كانت حياتنا بهيّة، نذهب كل صباح مشيًا على الأقدام إلى «الرملة» لنجمع البرتقال، ثم إلى «بشيت»[٤] لنحصد الزيتون مع أهالي القرية.

إلى أن أتى يوم زفافي، مستدركةً – وطبعاً العرسُ ثلاثُ ليال، في اليوم الأول يجتمع أهل القرية في مكان اسمه «أبو هريرة»[٥]، ويبدؤون بغناء أهازيج التراث الشعبي فرحًا بالعروسين، هذه هي التقاليد التي كانت في قريتي ولكنها ، للأسف – لم تتحقق يوم زفافي، فيوم الزفاف صباحًا سمعنا خبراً من أستاذ يعمل في مدرسة الإنجليز، أن العصابات الصهيونية وصلت مدينة الرملة وبدأنا نأخذ أغراضنا ونهرب.

لم أكن أعرف هل أنا متزوجة وسأذهب مع زوجي، أم أنني في عُرف أبي وسأذهب مع أبي، كنتُ قلقة على عائلتي وزوجي الذي لم يكن زوجي، وفي الطريق إلى «أسدود»[٦]، التقى بنا الجيش المصري في قرية «حمامة» وبدأ الجميع يستقبله بالتصفير والرقص، حتى أن الناس هناك قالوا لي، هذا هو زفافكَ، هذه هي فرحتكِ، هذه زغاريد الأرضِ.

لم أقاطع أم سمير مطلقًا، حتى أنني أدرت عيني كلما شعرت بذرفه دمعٍ، قالت وهي تنهي حديثها عن ذلك اليوم «كانوا يغنوا لي في الطريق عشان يطيبوا خاطري»: «طولك يا فلانة يا قمر ضاوي، يا لوكس معلق بين القهاوي».

النكبةَ يا بني لم تكن نكبة أرضٍ فحسب، ولم تكن نزوح البلاد، لقد كانت إضاعة للغة وللتاريخ، والجغرافيا، ولبابور الطحين في القرية، وللمدرسة التي لا تحتوي إلا على سبعة فصولٍ فقط، كانت هجرةً عن حقول البرتقال والتين والزيتون .. ليتني أعود إلى ذلك اليوم، لأفرح بكل ما فيّ من فرح، ولأرقص بكل ما لجسدي من طاقة، لقد سلبوا فرحتنا الأولى، واستمرينا نقتات من الحزن طعامًا، كان في بلادنا كل شيء، لم يكن ينقصنا شيءٌ، حتى أننا أحببنا الحياة التي أفقدنا إياها الاحتلال.

هكذا أنهت حديثها معي مباركة لأخي، ومباركًا لها، لقد رأيت فلسطين كاملة في عينيها، وحزنتُ كثيراً عندما قالت أن دمعتها الوحيدة هي النكبة.

---

١ – المطمورة : كلمة فلسطينية تعني حفرة صغيرة تخزن بها الحبوب ودلالة الكلمة في السياق هي العجلة والرعب.

٢– يبنا: قرية فلسطينية تقع في محافظة الرملة وتعتبر هذه القرية من أكبر قرى قضاء الرملة وهي أقرب ما تكون للبلدة منها للقرية

٣– الرملة : من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية تقع شمال غرب القدس، تأسست سنة ٧١٦ م على يد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وسميت نسبة إلى الرمال التي كانت تحيط بها.

٤– بشيت: قرية فلسطينية تقع في السهل الساحلي الأوسط .

٥– أبو هريرة: لفظ يطلق على مكان يجتمع فيه الرجال والنساء لإقامة الحفلات في قرية بينا وهو يشبه السوق أو الساحات العامة.

٦– أسدود: مدينة فلسطينية ساحلية تقع على البحر الأبيض المتوسط، بناها الكنعانيون الذين سكنوا فلسطين التاريخية حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد.

# حكاية دمع

الكاتب/ عامر المصري
اسم الرواي/ محمد عبد القادر صقر
اسم البلدة المهجر منها/ حمامة.

كالأرض العطشى التي تنتظر المطر الذي تأخر، هكذا كان قبل أن أميل عليه وأهمس في أذنه: يبدو أن جدي يشتاق أن يلبس «السروال»[1] ويحمل الفأس ويمارس مهنته القديمة، لقد أتعب الانتظار قلبك يا جدي.

– أنا يا ولد من قرية «حمامة» ، فلاح ابن فلاح، وسلاحي هو الفأس والمنجل .. كُنا فلاحين نُتْعِبُ الأرض وتُتعبنا، وكانت أغلب بيوت القرية طينية متساوية في الفقر والحب، لم يكن هناك الكثير من المال كي تُبنى البيوت من الحجارة، فالأرض وحدها هي ذهبنا، وحياتنا مرتبطة بما تجود بها علينا من خيرها ورضاها.

كُنت في الثانية عشرة من عمري، أدرس في مدرسة القرية، الوحيدة آنذاك في قريتنا، وكنا ندرس فيها فقط حتى الصف السابع، لكنني لم أستمر، فقد توقفت الحياة عند الصف الرابع .. أذكرُ ذلك جيّدًا.

بينما هو منهمكٌ في ذكرياته؛ مرّ من أمامنا موكبٌ فرح فخطر لي أن أسأله عن العُرس، عساني أن أفرّج عنه بعض همه، فقد بدا لي أنني صرت سببًا في تعكر مزاجه، فسألته: أخبرني يا جدي، كيف كانت عادات العُرس أيامكم، هل مثل أيامنا أم أنها اختلفت؟

يا ولدي، أنت مشاكس، تخرج من المواضيع بسرعة، لا عليك فأجمل ما بنا أحزاننا، وعلى أية حال، سأخبرك بما تُريد: عاداتنا لم تختلف عن اليوم كثيرًا، كانت والدة العريس تذهب لرؤية العروس والتعرف عليها وعلى أهلها ومعرفة إذا كانت مناسبة لابنها أم لا، وإن أعجبتها؛ يذهب الأب وأبناء عمومته ليتفقوا مع أهل العروس على «المَهر»[2] وباقي التفاصيل، ثمّ يتم تحديد موعد عقد القران، وبعدها تتم كسوة العروس والاتفاق على يوم «الأخذة»[3].

زماننا غير زمانكم، قال وهو يبتسم: كان ممنوعًا على العريس رؤية العروس؛ إلا ليلة الزفاف، وصمت قليلاً وأخذ نفسًا عميقًا ثمّ أكمل: «كانت الأعراس جميلة، حيث كانت كل القرية تفرح وتأكل الطعام، فيوم العرس يقوم أهل العريس بذبح خروف ويأخذون ذراعه إلى أهل العروس، وما يتبقى من خروف يأكله أهل العريس وجيرانهم، ثمّ في ساعة العصر يذهب أهل العريس وجماعته إلى بيت العروس ومعهم فرس لتركبه وهي تمسك السيف

---

١ – السروال: هو بنطال واسع كان يلبسه الرجال عادة، خاصة أثناء العمل في الزراعة، وذلك لأنه مريح في الحركة.

٢– المهر: مبلغ من المال أو أيّ ممتلكات أخرى، عادة ما تقدم من الزوج إلى زوجته، وهو من تقاليد الزواج في بعض الثقافات العربية والإسلامية.

٣– يوم الأخذة: هو اليوم الذي يقام فيه حفل الزفاف، وتنتقل العروس للاستقرار في بيت الزوجية.

٤– المطبّق: هو نوع من الحلويات المشهورة بفلسطين.

والمعجنة .. ياه، كانت أيام جميلة يا ولدي، يا حسرة عليكم أنتم!

وأردف: «بعدما تركب العروس الفرس؛ يمسكه أخوها ويسحبه وتبقى النساء في الخلف، بينما الرجال يتقدمون جميعهم إلى دار العريس كي يُوصلوا العروس ويأكلوا الطعام ثمّ يعودون إلى بيوتهم، و في صباح اليوم التالي من الزفاف؛ يتم تقديم أقراص حلويات «المطبّق»ء ، أما المباركات فتُقدّم يوم العُرس حيث كانت المُباركات عبارة عن صينية مليئة بالطحين وعليها قالب من السكّر».

انتهى العجوز من سرد تفاصيل العُرس ولم أنتهِ أنا من «حواديت» البلاد فسألته كي أكمل الحديث: «مشتاق للبلاد يا حجي» .. لم يبكِ، ظل الدمع محبوسًا في انقباض العين التي أوجعها الحنين.

# ذاكرة وطن

الكاتب/ وليد العقاد
الراوي/ جميل محمد مطر
القرية/ المجدل [1]

البحثُ عن حكايا الوطنِ نضالٌ للنّوايا، وسلامٌ لسرب الحَمام الذي يرانا، هكذا بدأتُ يومي شاقًا طريقي إلى بيته حاملاً بين ذراعيّ ورود الذاكرة، عند الباب انقبض قلبي وتشتتت هيئة مشيتي، أخذتُ شهقةً عميقةً حبستها في صدري، وأطلقت سراحها ببطء مع الريح، وتقدمتُ إلى الدّاخل كالباحثِ عن حقيقة مسموعةٍ، أخبرني ابنه ألا أطيل عليه حتى لا تُرهقه صرخات قلبه.

أخبرتُ ولده ألا يقلق سيكون حديثنا مختصرًا، جلستُ بجانب الجدّ «جميل» لكونه لم يستطع رفع يده المتعبة من طول الانتظار، فأمسكتها وسلّمتُ عليه، شعرتُ وقتها بالدفء وملاحم تاريخٍ يتسربُ من يديه الوردية إلى يديّ كماء الغدير، وأخذ يسرد بوجع المشتاق عن مدينته «المجدل» ، شعرت في صوته همهمة توحي بالإعياء الشديد، وبرويّة صار يتحدث عن حياتهم البسيطة المفعمة بالحب والطمأنينة، عن كل المشاعر التي تختزن في قلبه، عن الحنين إلى القرية التي هُجروا منها قسرًا، غير مبالٍ بمرضه، وعابرًا بي في رحلة إلى رائحة البلاد البعيدة، حيث يستوطن الحب والذكريات والصور القديمة ورائحة الزعتر.

كُنا ننام على القش وكانت المخدة محشوة بالعشبِ، على الرغم من خشونتها إلا أنها كانت ناعمة بدفء الحُب والرضى، ننام على الأرض فتحتضننا السماء بكل رحابة، وفي الصباح كنا نستيقظ على رائحة «خبز الصاج» [2] . وسرح للحظات وهو يتلمظ: «لهلقيت طعم الخبز بتمي» كنا نشعل النار في «الطابون»[3] بواسطة فضلات الحيوانات الجافة، و»الجفت»[4] كوقود في ذلك الوقت.

وأكمل قائلًا: « لقمة بسيطة من الصبح حتى الليل» كان الصغار والكبار ينامون في فراش واحد ويلتحفون في لحاف واحد، أحيانًا ينام الكبار جوعى حتى يوفروا قوت أبنائهم، فالمصادر المتاحة كانت محدودة ومنحصرة بالأبقار

---

١ – المجدل: من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع في جنوب فلسطين على بعد ٦٥ كم غرب القدس، أسس الكنعانيون المدينة في الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت أحد موانئ الفلسطينيين القدماء على ساحل البحر المتوسط.

٢– خبز الصاج: هو نوع من أنوع الخبز الذي انتشر في البلاد العربية والإسلامية خلال حقبة حكم الدولة العثمانية، حيث يخبز الدقيق مع الماء والملح و يتم رق العجين على شكل دائري كبير، ويتكون من طبقة واحدة رقيقة، ثم يُخبز على قطعة معدنية كبيرة ساخنة تسمى الصاج.

٣– الطابون: هو فرن يتم صناعته من الطين، ويستخدم في خبز العجين وغيرها من الاستخدامات الأخرى.

٤– الجفت: بقايا حبات الزيتون بعد عصره، حيث يكون شديد الاشتعال لوجود الزيت فيه.

والأغنام وبعض المزروعات الموسمية، كانت حياتنا بسيطة وسهلة. أتذكّر في إحدى المرّات أنهم لم يجدوا حذاء لعروسٍ فزُفت حافيةً إلى زوجها، كان يتحدث وهو يبتسم لامزًا من طرف أعراس تلك الأيام: « مش زيكم اليوم العروس بدها حاجات ومحتاجات».

تحدث الجد عن «النّاحلة» ٥ قائلًا: عندما تمطر السماء كنا نحتضنه بشغف، لعلمنا أنه ماء مبارك وثمين، فكما يتم حفظ الماء أيضًا، يتم حفظ الطعام من خلال تعليقه في مقشة محكمة الإغلاق، مصنوعة من سعف النخل وأعواد الخيزران، حيث توضع في أماكن عالية بعيدًا عن الذباب ودواب الأرض.

من الأشياء العجيبة التي تحدث عنها الجد «جميل» أساليب وطرق العلاج، فلم تكن هنالك أساليب علاج حديثة كما الآن، حتى أنّ المرأة إذا جاءها المخاض كانت تلد لوحدها، وأحيانًا تساعدها «الدّاية» ٦ فتقوم بقطع الحبل السري بقطعة حديدية أو قطعة زجاج.

واستخدم روث العصافير علاجًا للأذن بعد ثقبها، وريش الزغلول لعلاج «الرّمد» ٧ ، أشياء كثيرة كنا نجهلها ونعمل بها، كنا بسطاء جدًا يا ولدي.

على قلة حديثه، إلا أن الصمت الذي يعيشه، كان كفيلاً بأن يخبرني عن شريط من ذكرياته اليافعة والمريرة، التي عبرت أمام عينيَّ حين لمحت تلك الدمعة الشاردة في عينيه، والنّظرة الثاقبة لحلم لم يفارقه – يا اللّه ما أصعب الغياب وما أوجعه.

أتراه يحلم بالعودة؟! سألت نفسي. وهممت بالوقوف ومددت يدي لأودعه، فنظر نحوي وقال: «هوا صحيح ما ضل بالعمر قد ما راح، بس رح نرجع يا بني» قلت له حينها: «نحن الجُذور يا جدّي، وإن قطعت الأغصان حتمًا سيأتي الربيع، فنُزهر مرّة أخرى».

---

٥– الناحلة: الخشبة والسطل المستخدم لجلب الماء من البئر، ويتم فيه جمع ماء المطر.

٦– الداية: هي سيدة خبيرة تساعد الحوامل وقت الإنجاب قديمًا وتصف الأعشاب التي تعطى للمرأة بعد الولادة والاعتناء بصحه الوالدة و المولود .

٧– الرمد: مرض معدي يصيب العين.

# صرخة عتيقة

الكاتب/ أدهم العقاد
الراوي/ سهام الزيني
البلدة/ بيت دراس [1]

«بدي أرجع، رجعوني على البلاد»، كانت أمي تتمتم بهذه الكلمات، بعد أن أغلقت الهاتف إثر مكالمة كان على الطرف الآخر فيها خالي ناهض، كان يخبر أمي أن جدتي عادت إلى جنونها، فأغلقت أمي السماعة من فورها، وعلى عُجالة ارتدت ملابسها وركضت بينَ أزقة الحي ذاهبةً إلي بيت جدتي الذي لم يكن بعيدًا من بيتنا، وظللت عند إخوتي الصغار.

حمل الليل حقائبه بعد إنذارٍ شفوي أعلنهُ مؤذن الحي ببزوغ النهار، أشرقت الشمس وحيدةً وباكية وأتت حاملة على كتفيها حزن اثنين وثمانين سنة.

«هل صَرخت في وجهها؟!
هل رفضت المقابلة، هل ماتت؟! .. تساءلت حين عادت أمي صباحًا.

لم تستطع التحدث، ألقت بجسدها الهزيل على الأريكة ونامت، وبدوري حاولت النوم ولكنّ الصرخات كانت تحاصرني « بدي أرجع، رجعوني على البلاد». حاولت النوم بعيدًا لكن دون جدوى فقد ظلّ فضولي يحاصرني .. «أريد أن أعرف ما حدث مع جدتي» قُلت: لقد عيل صبري، فسرقت وجه أمي الحزين وارتديته وخرجتُ مسرعًا حتى وصلتُ بيت جدّتي، فدخلتُ حجرتها فرأتني فانشرح صدرها، كان ذلك جليًا في جمال بسمتها وهي تقول لي: «أهلا يا ستي، حماتك بتحبك، أُكعد كول معي هالزاتونات ما بتعوظن».

جلستُ بجوارها وتناولنا فطور البلاد المسروقة، وتبادلنا أخبار الجيران. انتهينا وصار في وسعي أن أحادثها بشكل لا يثير حنقها عن جملتها تلك التي ما زالت تطن في أذني « بدي أرجع، رجعوني على البلاد»، فتبدّلت ملامحها وعادت إلى الوراء بذاكرتها، كان ذلك ظاهراً في تعمقها وهي تنظر في انعكاس الصور في عينيّ، كانت صورة قديمة لبلدتنا التي هُجرنا منها، بلدة «بيت دراس» .
تنهدتْ الجدة، وكأن حِممًا تخرج من صدرها المبروك: «آه يا صغيري كم أشتاق .. بدي أرجع على دارنا».

---

[1] – بيت دراس: قرية فلسطينية، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة، وتبعد عنها ٣٢كم، وترتفع ٥٠م عن سطح البحر.

إلى أين يا جدة، ولمَ كل تلك الآهات التي تخرجُ منك؟!

لم أكن لأنهي سؤالي حتى راحت في الكلام: كنا سويًا نزرع القمح بيد واحدة، أنا وجدك. ننام بلا تعب رغم سعينا اليومي وراء لقمة العيش، كُنا نصنع «الفخار»[٢] ليلًا ومع قدوم الصباح نزرع القمح ونحصده في آيار، كانَ بجوارنا مستعمرات صهيونية ننظر إليها وهي تكبرُ شيئًا فشيئًا باليهود الفقراء الذين كانوا يأتون من أصقاع الأرض، كانت المستعمرة الأقرب إلينا اسمها «بير تعبية»[٣] ولم تكن علاقتنا سيئة بسكانها بل كنا نتبادل البضائع وأحيانًا نعمل سويًا في التجارة والزراعة والحياكة.

كنّا نساعدهم في بناء المنازل، وطحن القمح، ونبادلهم السلام .. إنها حماقة منّا يا صغيري، كنّا حين ننام يستيقظون ليتدربوا على السلاح، فقد كانت طلقات الرصاص تخيفنا طوال الليل، وحين نسألهم في الصباح يجيبون بأنّ الكوابيس أصبحت أمرًا اعتياديًا بالنسبة لهم، ولا بدَّ أنّ إحدى الكوابيس تسللتْ من المستعمرة نحونا!
في ليلةٍ من ليالي شهر جمادى الأولى؛ استوحش المستوطنون علينا، سمعنا صراخهم بعدما كشّفوا عن أنيابهم وسقطتْ الأقنعة، هاجمونا فقتلوا منّا العشرات واحتلوا القرية بمساعدة من «الخواجات»[٤] البريطانيين وفي طريق هربنا من الموت؛ كنّا لا نعرف الطمأنينة أو الراحة من أشعة الشمس ومن صوت العصابات المحتلة حتى وصلنا إلى جنوب مدينة غزة».

تسلل الحنين من عينيّ الجدة وجرى الغضب في عروق يديّ. بكت الجدة وأعلنت حنينها فصرخت بصوتٍ عالٍ: « بدي أرجع، رجعوني على البلاد»، ففر الدمع من عيني وأقسمتُ لجدتي بأننا لن نهدأ حتى تعود لنا بيت دراس، وتعود أحلام جدتي حقيقة، لا صراخ فيها ولا أمنيات.

---

٢– الفخار: هي أواني وتحف مصنوعة من الطين المحروق بالنار، بعد تصنيعه يدويًا ليكسب مزيدًا من الصلابة.

٣– بير تعبية: مستعمرة صهيونية.

٤– الخواجات : لقب يطلق على الرجُل الغربيّ.

# طريقُ الموت والنجاة

اسم الكاتبة: غادة سفيان القصاص
الراوي/ رسمية عبد الله عنابة
البلدة / المجدل

النّجاة هي أن تظل آذنك تُطرب لقصص الأرض المسلوبة والجريحة، أمّا الموت فهو أن تنسى أنه كان لكَ وطنٌ يومًا ما، بين النجاة والموت طريقٌ نعلق عليه آمالنا، وحياتنا، نتذكر البلاد والزيتون والكروم وضحايا الحرب، ونتشوّق لرؤية الوطن في طريقنا إلى النّجاة، هنالك ذاكرة لا يجبُ أن تموت مهما تأخر المشوار.

لكل وقتٍ مع جدتي حكاياته التي لا تبدو عادية مطلقًا، أو عابرة، جدتي لا يُمل حديثها ولا تكَل الأذن من سماع قصصها، حتى ضحكتها تجعلك تناظر السماء متعطشاً للقرية، وللمدينة، ولكل كل تلك الأشياء التي تحدثنا عنها. وكعادة كل ليلة من شتاء هذه المدينة، نجلسُ أنا وجدّتي قُبالة التلفاز نحاول الاستماع لشيء يسلي وحشتنا، ولكن لسوء الحظ لم تستمر محاولتنا، فانقطاع التيار الكهربائي لم يسمح لنا بما نحاول فعله، لم أُشعر جدتي بالقلق، فرُحت مسرعةً ووضعتُ رأسي في حجرها، ومدّت قدميها قليلًا كي يستريح رأسي بلا تعب، صمتنا ثم بادرتها بالقول: «ستي احكي لي حكاية»، لم أنه طلبي حتى أنزلت جدتي رأسها نحوي مصوبة نظراتها على وجهي، وأشارت بيدها ناحية مفتاح كبير كان معلقاً في صدر الغرفة: «هذا مفتاح بيتنا يلي كان بـ «المجدل» قالت وهي تُغمض عينيها: «تخيلي مع أن المجدل تنام على البحر، وتستنشق رائحة البرتقال كل صباحٍ، ويستقبل بحرها الصيادين الذين يرمون شباكهم في بطنه فيُخْرِجون سِحر الأسماك، إلى أن يأتي وقت حفل الشواء في المساء مع الجيران. كنا أسرة واحدة في كل شيء.

شواء .. شواء، رحت أردد في وحشة وتمنّي: يبدو أن للشتاء متعة لافتة، حتى مع انقطاع التيار الكهربائي، نحن الآن بلا كهرباء، أو حفلة شواء .. إننا قليلو حظ يا جدتي.

أكملت جدتي قصتها دون أن تتبرم من مقاطعتي لها: لم تكن الكهرباء متوفرة في ذلك الزمن، كانت فقط في بيت مختار القرية، وبعض البيوت القليلة حوله، نعم يا بنيتي، كان للشتاء طقوس خاصة، حيث نجتمع حول موقد النار وندفن أجسادنا تحت الأغطية الثقيلة، بينما تُعد لنا أمي شايًا برائحة الميرمية التي كان يحضرها جدي من القدس – شعرت أن جدتي قد أصابها النعاس، فهمت ذلك من تململها وتهربها المتعمد من إكمال حديثها، فرحت أتوسل لجدتي العجوز أن تحكي لي حكاية ككل ليلة لأنام على صوتها، رجوتها حتى قالت: « كان يا مكان في

قديم الزمان، يا سامعين الحكي والكلام بدكم نحكي ولا ننام» كنت أصرخ بصوت عالٍ «بدنا نحكي»، فتروي لي حكاية الغولة، وليلى والذئب، وغيرها من الحكايات الممتعة، وفي إحدى الليالي المقمرة، بينما تروي جدتي حكايتها، سمعنا طرقًا شديدًا على الباب، فسمعت صوت أقدام أبي وهي تسير نحو الباب حتى فتحه بسرعة ففوجئ بجميع الجيران يركضون في الشارع بهلع شديد، عرف أبي من أحد المارة بأن مخاتير القُرى طلبوا منهم مغادرة القرية فورًا؛ لأن القوات الصهيونية المسلحة اقتحمت القرية المجاورة وارتكبت مذبحة ومن المحتمل أن يصلوا لنا الليلة.

«اختلط الأمر كله، ورُفعت الأغطية، وذهب الدفء وسيطر الخوف على الأفئدة بعد أن أمرنا أبي بالخروج من البيت والركض وراء الناس لتأخذنا أقدامنا إلى حيثُ لا ندري، وصلنا إلى الجبال واتخذنا منها مأوى على أمل العودة بعد ثلاثة أيام كما وعدنا المخاتير، لكن الأيام طالت حتى صارت شهورًا، والشهور نمت فأصبحت سنوات طويلة.
كان الجميع يركض نحو المجهول. تاهت الأمهات عن أبنائهن وتفرّق الجَمع فلم يعد أحدٌ يعرف أحداً، كنت في الثانية عشرة من عمري حينها»: تقول جدتي. وجدتُ نفسي أركض خلف الناس دون أن ألمح وجه أحد من عائلتي، دسستُ نفسي في شاحنة قمح كانت في طريقها لغزة مع مجموعة من الناس، تلاحمت أجسامنا الهشة كُنا ما يقارب الثلاثون من النساء والرجال والأطفال منهم من أصيب وكان ينزف بشدة واستشهد ونحنُ في الطريق كان المشهد مأساوي للغاية، لم أحمل يومها سوى ثيابي وهذا المِفتاح المعلق منذ عشرات السنين أمامي، أصبحنا نترقب الموت في كل لحظة تقف فيها الشاحنة، غفوت بعدها من شدة التعب وقُبيل الفجر أيقظتني إحدى النساء وهي تصيح «وصلنا بأمان وصلنا» .. وصلنا غزة، وأصبحنا بعدها مهجّرين نعيش في زحمة المخيمات وعلى رحمة طحين الوكالة.

تفتح جدتي عينيها وما زال رأسي ينام في حجرها، كأنها تستيقظ من حُلمٍ بعيد المنال وهي تتحدث لي بجد وتشير إلى المفتاح المعلق أمامنا: «ها المفتاح أوعك تفرطي فيه، احكي عنه لولادك، وولادهم، خليهم يعرفوا أصلهم، حاسة حالي حموت قبل ما أشم ريحة المجدل تاني».

لم أرد أن تشعر جدتي بوجعي الذي هبط على صدري كغمام أسود، ورحت أقبل جبينها باعتذار خافتٍ عن تأخر الوقتِ ووجع المكان، ووصول القلبِ إلى مرساه، وهرولت مسرعة إلى غرفتي لأنفجر أنا وقلمي، وأوراقي الدسمة، كتبتُ في مطلع الصفحة: « يموت الأجداد، ولا ينسى الأبناء، سنعود يا مجدلنا ولو بعد حين... سنعود، سنعود».

# عرس جدتي

الكاتبة/ شيماء أبو شقرة
الراوي/ فتحية حدور
البلدة/ المجدل

زفة الجداتِ للأبناء كالخيل الذي يُرافق مُوكب العروسين، تشعرُ وكأن صوتها يخلق حبًا إضافيًا إلى تلك السّهرة البراقة تُظهر فرحًا عظيمًا يجعلك تنهمر أمامه كشلال شوق.

فرحت جدتي كثيرًا عندما عرفت أن ابنة عمي ستكون عروستي، وعلت زغاريدها في الهواء تنشر العبير من حولنا، ثم همست في أذني قائلةً: «يا حليلي وهالغزال ... رُكبته شبرين من تحت العكال (العقال)[1] .. أمك يا ولد أمك ... خيّب الله شيب أمك»، شعرتُ وقت أهازيجها أن أحدًا ما يحملني في الهواء مرّات عديدة ثم ينزلني إلى الأسفل. أخذ صوتها يعلو تدريجيًا وهي تصفق بحرارة وتزغرد دون تقطع للنفس، وكأنها ابنة العشرين ، الفرح أحيانًا يجعلنا أصغر من أعمارنا بكثير – بينما أمي تجلس معنا محمرّة الوجه، غاضبة غضب التصنع، لكني كنت أرى قلبها يقفز من مكانه فرحًا.

_ ما هذا يا جدتي الذي قلتهِ، وماذا يكون معناه؟
_ «هاظ يا بنتي كنا نغنيها للعريس ليلة عرسه أيام البلاد وآهٍ على تلك الأيام ألف آه لو أنها تعود»!

لم أكن قد سمعت شيئًا عن أعراس أيام البلاد – كما يسمونها، فأنا وبحكم دراستي تغرّبت أعواماً كثيرة، حالت بيني وبين تلك النَغمات التي أشعر أنها جزءًا من تاريخي، ولقد تملكني الفضول لمعرفتها، فعدّلت جلستي لسماع حديث البلاد الذي يتوجب عليك أن تجلس مرتاحًا لتسمعه، وطلبت منها ، أي جدتي – أن تحدثني بإسهاب أكثر عن عرسها، لقد رأيت شيئًا ما يرتسم على وجهها، لا أدري ما هو، هل فرحًا كان أم حزنًا، أم أنه شوقٌ لأيام قد خلت، وذكريات لم يعد لها وجود! فسرحت الجدة قليلاً ثم ابتسمت كأنها تعتصر الزمن في مخيلتها: «يوم خطبتي، كنت أجلس في باحة المنزل، أذكر ذلك اليوم جيدًا، كنت أحيك كنزة صوف لجدك عندما دخل من باب البيت وبادرني بالسؤال: يا عروستنا، أحمد ابن جارنا طلبك للزواج! لقد تلعثمت يومها، ولم أرد جوابًا، كان الأمر مخجلاً جدًا للبنات في ذلك الزمن، لكن ابتسامتي أخبرت والدي بموافقتي، ثم تمّت الخطوبة واستمرت عامين إلى أن أتم أحمد تكوين ذاته وأصبح مستعدًا لـ «فتح البيت»[2]، «ياه يا أحمد، ماذا لو كنت جواري الآن، والسؤال موجه من حفيدك لك ماذا كنت ستجيب؟ .

---

1 – العقال: هو طوق يضعه الرجال في الجزيرة العربية والعراق و بلاد الشام وهو جزء من اللباس الشعبي للرجل، حيث كان يصنع قديمًا من صوف الماعز.

2– فتح البيت، كناية عن استطاعة الزوج أن يكون له بيته الخاص.

مضت نسائم الذكرى تملأ المكان بالطِّيب والذكريات حتى وصلت في حديثها إلى مراسم الزفاف، كانت «أم عدي» – تلك الجارة الطيبة – تحمل الحِنّاء للعروس وتُشرف على تحنيتها بأشكال وزخارف عديدة وتغني تارة، وتزغرد تارةً أخرى، كل شيء كان يمضي بالغناء والفرح، لا شيء يعكر المزاج.

وفي زاوية أخرى من البيت كانت النسوة يحضرن الطّعام للمدعوين والذي كان عبارة عن أطعمة بسيطة، كاللبن، والبيض، والزيتون، والزعتر. كانت تمضي في حديثها وأنا أتلمظُ على الطعام، حتى أتت على ذكر والدتها عندما أخبرتني عن العقد الذهبي الذي تلبسه في رقبتها: هذا يا ولدي عقد أمي، كنا نسميه «مشخلع»[٣]، أهدتني إياه في عرسي ومن يومها وهو لا يفارقني إلا وقت إعارته للعرائس كي يتباهين به أمام الناس، كانت هذه عادة لدينا، كما أنها وصية أمي أن لا أرفض إعارته لأي عروسة تطلب لبسه في يوم زفافها، وسيكون لعروستك من بعدي.

تمضي نسمات الذكريات وأنا منشرح الفؤاد، كنا يا ولدي نقيم العرس سبع ليالٍ، يجتمع فيها المخاتير وأهل القرية مع أهل العروسين ليقيموا فيها الحفلات والأهازيج حتى آخر الليل، حتى يأتي يوم الزفاف.
كانت لدينا عادة قديمة حيث كانت تضع والدة العروس في يد ابنتها عجينة وريحانة ثم تطلب منها أن تلصقها على الحائط، فإن التصقت مباشرة فإنها تزعم أن حياتها ستكون ميسرة وسعيدة وإن لم تلتصق مباشرة توصي ابنتها بالصبر.

كان الحديث يدور بيني وبين جدتي، بحضور أمي التي لم تتحدث مطلقًا، حتى التفت جدتي نحو مقعدها فلم تجدها جالسة عليه، فقالت لي: أمك زعلانة. ونادت عليها وحين قدومها راحت تنشد ممازحة وكأنها أرادت أن تغيظها:» أمك يا ولد أمك خيب الله شيب أمك». فلم تستطع أمي أن تكتم دمعها الذي اختلط بكلام جدتي: يا أم العريس، لقد بكيت ولدي يوم أن خطبتك له، وها أنت تبكين ولدك يوم خطبته، وراحت تغني «سبل عيونه ومد ايده ليحنوله شب صغيّر وكيف أهله سمحوله، ورحت أنا في توهاني بين حديث جدتي ودموع أمي التي عانقتها حتى انفرجت شفتيها بالضحك وهي تقول: حبيبي يمّة، اللّه يفرحك يارب.

---

٣– مشخلع: وهو عقد من الذهب الفلسطيني القديم، يتكون من العديد من القطع الذهبية الصغيرة.

# عندما يغيب زيت الزيتون عن سفرة المنزل

الراوي/ حسن محمد محمود أحمد
الكاتبة فاطمة العبادلة
القرية / بربرة

لم يكن صحوًا عاديًا ككل الصباحات التي حاولت أن أُغالِب فيها كسلي وأترك السرير مبكرًا كي لا أتأخر عن مواعيدي، ولكنني أفشل؛ فأفوز بتناول الفطور مع جدي .

يومها قمت من نومي متجهةً ناحية المطبخ، المكان المُفضل لأمي، حيث كانت تمارس عملها القديم الذي ألفته منذ عشرات السنين، لتعد الفطور لنا. لكن أمرًا غريبًا كان يتجلى أمامي، كان جدي يجلس بعيدًا عن مائدة الطعام، على غير عادته، فهو الأسير لرائحة الزيت والزعتر في الصباح وهو الذي كان يتبعهما أينما كانا !

ولكني بمجرد أن رأيته هكذا، خطر لي أن سبب بعده عن المائدة هو نفاد زيت الزيتون من البيت، فأنا قد أجهزت مساء أمس على ما تبقى في قارورة الزيت .. يا لطعم البلاد ماذا يفعل بأصحابه!

هكذا هو جدي يرفض أن يجلس على المائدة إذا خلتْ من زيت الزيتون، فهُما كأخوين توأمين تربطهما صلة رحم ودم وذكريات، لم أترك لنفسي أي وقت للتفكير فاتجهت من فوري مسرعةً إلى بيت عمّي وجلبت كأس زيت زيتون، ودخلت أتبختر كمن يحمل في يده مبخرة يفوح منها الدخان المُعطر، فتناوله منّي بشغف المُنتظر، وراح يتأمله: « لم يكن لون زيت «البلاد» في «بربرة» هكذا، قال: «لم يعد هناك من يهتم بالتفاصيل، الزيت من التفاصيل التي لا تُهمل يا بنيتي» وأكمل حبيب الزيت حديثه: «قديمًا كانت تأخذنا فتنة حبّات الزيتون إلى بياراتها، نشرب معها برّاد الشاي المغلي على النار، وعندما يأتي موسم جني الزيتون في تشرين الأول، كنا نذهب وكل أفراد العائلة إلى الكُروم، وأول ما تحط أقدامنا في وسع الأرض حتى تضحك الأرض، وتُزَمِلُنا أغصان أشجار الزيتون، كنا نصاب بالفرح لمجرد وجودنا بجانب تلك الأشجار العتيقة،

فنجلس في حضن ظلالها الحَنون البريء، ونبدأ بهز أغصانها برفق لتتساقط حبّات الزيتون على «المفارش» تتدحرج وتتدلل بين أرجلنا، بينما يقوم الأولاد «بالجول» وهي عملية جمع الحبات المتساقطة على الأرض، يتم اسقاط حبّات الزيتون العالية « بالعرار» وهي أغصان تؤخذ من شجر اللبني أو الخروب.

---

١ – البلاد: هي كلمة يستخدمها الأجداد للدلالة على القرى التي هجروا منها عام ١٩٤٨ ، يقصد من قولها عادةً التفاخر والحنين.

كنا ونحن نجني الثمر ننشر الأغنيات في الساحات، كُنا جميعًا رجالًا ونساءً نشدو بصوت واحد: «على دلعونة وعلى دلعونة زيتون بلادي أجمل ما يكونا» و «يارب تشتي ونلبس طاقية .. نلبس كبود ونحمل طاقية».
أما الأطفال فيغنون: « أمي راحت تتسوق وأختي بتخبز في «الطابون»[٢] ، وستي عملتلي «عجة»[٣] قلتها بزيت الزيتون»، بعد أن نقطف الزيتون في «القفف» تُحَمِله السيارات الى المعصرة، ثم نملأ «التنكات»[٤] بالزيت ونوزع بعضه على الجيران والأقارب والآخر نبيعه، أما ما يتبقى من حبّات الزيتون التي لم تعصر كنا ندقها بـ «حجر الدّرس»[٥] ونضعها في أجران ثم نضعه في ماء ساخن فيطفو الزيت منه وأخيرًا توضع حبات الزيتون في «بوشة» أي مرطباناً لتخليلها وتناولها صباحًا كعنصرٍ هام على الفطور.

لم يكن موسم الحصاد مجرد عملية قطف للمحصول؛ بل كان عُرسًا يُشارك به أهل القرية جميعًا، كان ذلك حتى تعطّلت الساعة وتوقف الزمن، وشممنا رائحة العدو يقترب فجفّت حناجرنا، وذابت رائحة الزيتون في أنوفنا، حيث بدأنا نشتم رائحة مذبحتي الـ «طنطورة»[٦] و «مجد الكروم»[٧] ، كان القصف عشوائيًا وسرعان ما حملنا أرواحنا وركبنا جمالنا تاركين خلفنا الزيتون الباكي والسّنبل الشاكي.

هناك من هاجر، وهناك من بقيّ في بيارته وامتزج دمه بزيت زيتونه وطين البلاد، وطائرات العدو تحلق فوقه كنسر جائع وترمي حممها حتى أصابته في مقتل، فمات كل شيء سوى الذكريات، فكل شيء قد يتحول إلى غيره إلا الذكريات، فإن تحولت فلا تتحول إلا إلى دموع، دموع كالتي كانت تنساب من عيني جدي وهو يبوح بالمكنون، ولا حول له ولا قوة.

---

٢– الطابون: هو عبارة عن قالب ترابي مفتوح السقف صممه الفلاحين الأردنيين والفلسطينيين لصناعة الخبز من التربة الجيرية بعد خلطها بمادة التبن والماء.

٣– العجة: أكلة فلسطينية تعتمد على البيض المخفوق، ومضافًا إليه بعض الخضراوات ومن ثم تتم لها عملية القلي.

٤– التنكات: صفائح من الحديد، كانت تستخدم في حفظ الزيت وتخزينه.

٥– حجر الدرس: هو عبارة عن حجر عادة ما يكون من صخر الصوان، يستخدم في دق الزيتون تمهيدًا لمرحلة الكبس.

٦– الطنطورة: قرية فلسطينية تقع الى الجنوب من مدينة حيفا، وتبعد عنها ٢٤ كم وترتفع ٢٥ كم عن سطح البحر، وقامت على أنقادها مستعمرات صهيونية، وحدث فيها مذبحة الطنطورة في الليلة الواقعة بين ٢٢ و ٢٣ أيار ١٩٤٨ راح ضحيتها العشرات من المدنيين الفلسطينيين.

٧– مجد الكروم: وتعني برج العنف بالكنعانية، وتقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا، وتبعد عنها ١٦ كم. كما وترتفع ٢٢٠ م عن سطح البحر. وتبلغ مساحة أراضيها ٥،٤ كم.

# عودة صامتة إلى يافا

الكاتب/ كريم أبو الروس
الراوي/ الحاج أحمد عبد اللّه
البلدة/ من يافا

كنا كُلما مررنا بجوار بيتٍ قديم يحكي لي عن أصحابه، وعن تاريخ هذا البيت وكيف استقبلهم أهالي قطاع غزة حينما أتوا إليه من البلاد التي هُجروا منها – إنه يتذكر الضحكات جميعها، والدموع أيضًا ويحفظ رائحة الأماكن .. يحفظها جيدًا.

لم يطول مسيرنا حيث جلسنا في متنزه المدينة القديم، وطلب لي القهوة على عجل للبدء في الحديث عن «يافا» ١ بعدما أخبرته أن حديثنا هذا سيُدوّن ليبقى شاهدًا حيًا على ذكرياته والبلاد.

–هذه المدينة الساحرة التي كلما حدّثك أحدٌ عنها، شعرت وكأنك «يافاوي» تجلس قبالة شاطئها الأزرق بكل طمأنينة، سيّما لو كان المتحدث كالحاج أحمد، الذي بدأ الحديث ليس كراوٍ، بل كمدينة كاملة لها لسان يتحدث عنها، واستهل كل ذاكرته ليرسم لي لوحة أراها من خلال حديثه.

كنتُ ابن مدينة يافا، عشتُ في تجمع لعدة بنايات في أرض والدي، حيث كان لديه قطعة أرض تسكن عليها كل العائلة، نمارس عملاً واحدًا، هكذا كانت الحياة في المدينة، كل عائلة تشتهر بحرفة معينة، كان التشابه فقط في الهوية واللهجة واللغة وعادة تكون المدينة مليئة بالزوار من القرى الفلسطينية الأخرى أو من خارج فلسطين، كونها تقع في مكان حيوي ولها ميناء يربطها بالمدن الساحلية.

كنتُ طفلاً ابن العاشرة في ذلك الوقت، وكانت لديّ روح المغامرة، كنتُ شقيًا كما تُخبر والدتي كل النساء اللواتي كن يفترشن ساحة البيت عني كل ظهيرة، لكنني كنتُ أفتش في شاطئ البحر عن معنى لهذه البلاد. كان لليل طعم آخر في يافا، حيث يجتمع أطفال الحي ليلعبوا سويًا، ألعاب «الحَجلة» ٢ ، والقفز والجري والركض، حيث الروح المرحة التي يستمدها الأطفال من هواء المدينة النقي.

لم أكن كبيرًا في ذلك اليوم المشؤوم الذي هاجمت فيه العصابات الصهيونية مدينة يافا وباقي المدن الفلسطينية، يومها خرجنا إلى الشاطئ ننتظرُ المراكب لتقلنا إلى المكان الذي نجهله، والذي قال عنه الجميع بأنه طريق النجاة فذهبنا .. أتت مركبة كبيرة وأقلّتنا إلى مدينة بور سعيد المصرية، ومرّت الأيام طويلًا حتى عدنا إلى قطاع غزة في حقبة الحكم المصري له إلى مخيم اللاجئين في منطقة المغازي وسط القطاع، حيث سمحت

---

١ – مدينة يافا: تعد مدينة يافا من أقدم مدن فلسطين التاريخية التي احتلت عام ١٩٤٨ ، وتقع مدينة يافا على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط إلى الجنوب من مصب نهر العوجا* بنحو ٧ كم، وإلى الشمال الغربي من مدينة القدس.

٢– الحجلة: لعبة شعبية، تقوم على رسم أشكال مستطيلة موصولة ببعضها على الأرض، حيث يعمل اللاعب على القفز بين هذه المستطيلات بحيث لا يلمس بقدمة خطوطها.

سلطات الاحتلال الإسرائيلي لنا بعد احتلالها القطاع أن ندخل بتصاريح عمل إلى الأراضي المحتلة، يومها أصريت على زيارة بيتي الذي خرجت منه، فذهبت أنا وأصدقائي في السيارة إليه، كنتُ أعتقد أن ملامح البيت ستتغير، وأن رائحته ستزول، ولكن حين وصلتُ وفاحت رائحته لتذكرني بأمي وأبي والجيران، وألعاب الأطفال والحيّ والمدينة، ومصانع الأغذية والسيارات، والسينما، وحقول البرتقال وكروم الزيتون. وقفتُ أمام باب البيت خائفًا متشوقًا حاملاً في قلبي مشاعر الغضب والحنين، نظرت ناحية نافذة البيت التي كنت أتسلقها قديمًا، فرأيت وكأنها امرأة تطهو الطعام، تطهوه لعائلتها في بيتي الذي سرقوه!

لم أتفوه بكلمة واحدة، بل أخفضتُ نظري وعدت إلى السيارة حيث الأصدقاء، ولم أتحدث مع أي شخص حتى وصلت إلى بيتي في المخيم، لك أن تتخيل أنني لم أقل لأحدٍ من عائلتي عن هذا المشهد خوفًا من حزنهم ومن غضبهم، لك أن تتخيل أن يسرق بيتك وتشاهده أمام عينك ولا تستطع دخوله، أو حتى أن تقول بأن هذا البيت بيتي خوفًا من أن يسجنوك أو يطردوك، أو يحرموك من العمل في أرضٍ سميت ظلماً وبهتاناً باسمهم.

ماذا أقول لكَ أيضاً؟

لا شيء يا عمي، لقد رأيت يافا، وشعرت بالدافعية للذهاب نحوها جريًا، ففي ساقيّ الآن كثيرٌ من الطاقة ربما تكفيني للركض باتجاه يافا .. وأنا مودعًا إياه، بعدما مددت يدي مسلمًا عليه، قال وشدّد بقوله: عليك أن تكتب كل ما سمعته، هنالك أمم كثيرة يجب أن تعي أننا بحاجة إلى وطن، إننا بحاجة إلى بيوتنا التي هجرونا منها بالقوة.

# فصول الحب

الكتابة/ غادة القصاص

الراوي/ أمينة عبد اللّه أبو سلمية

القرية/ الجورة ١

عدتُ من مدرستي ظهراً، وأنا أجرُ حقيبتي الثقيلة، أركل حصى الشارع بتأفف، وأنا مغمور في تأففي ذاك، لمحني جدي وأنا أعارك باب البيت كي أستطيع الدخول وحقيبتي معاً، حتى راح يضحك من طريقة دخولي ومن حجم الحقيبة التي تبدو أكبر من جسدي كما قال، وعندما اقتربتُ منه قلتُ ممازحةً: ها أيها العجوز لماذا تضحكُ، يبدو أنَّكَ تذكّرتَ نفسك وأنت تجر حقيبتك مثلي.

هزَّ رأسه نافياً، وصمت قليلاً ثم قال: عندما كنتُ في عمرك لم يكن في قريتنا «الجورة»١ سوى مدرسة واحدة ، كانت تحتوي على ستّة صفوف؛ من الأول إلى السادس، وبعد ذلك ينتقل الطلاب للدراسة في مدرسة أخرى بعيدة، إمّا في القدس أو في غزة، لم نكن نعرف مثل هذه الحقائب التي تحملونها الآن، كانت أمهاتنا تخيط لنا قطعة قماش موصولة بحبل نعلقها على أكتافنا نسميها «خريطة»، كانت تكفي لحمل خبزة صغيرة، ودفترٍ واحدٍ يشتمل المواد التي ندرسها، وفي الصباح كنت أستيقظ على صوت ديك الحاج «أبو حسن» أرتدي ملابسي النظيفة التي تغسلها أمي قبل يوم وتجهزها لي بالقرب من وسادتي. وبينما أنتهي من ارتداء الملابس تكون أمي قد حَلبت البقرة لتُشربني حليباً طازجاً، كانت أمي تحبني كثيرًا، وتُصر على أنني ضعيف الجسم، فلذلك كان لزامًا أن أشرب الحليب طازجًا كل صباح، بعد ذلك الطقس اليومي، يدّق الباب فأعرف أن باقي الأولاد قد حضروا لنذهب معًا إلى المدرسة، فتقوم أمي بتقديم ما تبقي من الحليب لهم، وتصر على أن يشربوه، ومن ثم تمسح على رؤوسنا جميعًا وتودعنا عند الباب وهي توصينا بأن لا نتسكع في البيّارات المجاورة، وأن نعود إلى بيوتنا فور انتهاء الدوام المدرسي، لكننا لم نكن نسمع كلامها، فغالبًا، ما كنا نتهرب من الذهاب إلى المدرسة ونختبيء في بيارة «أبو حسن» نأكل من شجرة البرتقال واللوز ونحنُ نضحك بصوت خافت حتى لا يلمحنا الناطور ويقوم بضربنا بعصاه اللعينة على قفانا.

بعد أن ينتهي دوام المدرسة نختبئ وراء شجرة البلوط الكبيرة، ونلعب لعبتنا الشهيرة «الغُميضة»٢ حيث يُغمض أحدنا عينيه ويعد واحدًا، اثنين، ثلاثة، نكون جميعًا قد اختفينا عن الأعين؛ حيث يبدأ برحلة البحث عنّا، والخاسر يقوم بحل واجباتنا المدرسية كلها، وفي بعض الأحيان كُنَّا نسير طويلًا حتى نصل إلى البئر المُحاطة بالنساء والفتيات

---

١ – الجورة: هي قرية فلسطينية، تقع على الساحل الفلسطيني، احتلتها «اسرائيل» بتاريخ ١٩٤٨/١١/٥، ضمن الأراضي الفلسطينية التي استولت عليها في أعقاب حرب ١٩٤٨.

٢– الخريطة: وهي عبارة عن شنطة مصنوعة من القماش، تشبه الكيس، كان يحملها طلاب المدارس.

٣– الغمّيضة: لعبه يلعبها الأطفال يبدأ أحدهم بالعد ووجه على الحائط بينما يختبئ باقي الأطفال وبعد أن ينتهي من العد يذهب للبحث عنهم , وعندما يرى أحدهم يقبض عليه، ولها العديد من الأسماء منها الاستغماية في مصر والطماية في الأردن وغيرها.

الأنيقات اللواتي يملأن الجرار الفخارية بالماء ويضعنها فوق رؤوسهن. يحملنها إلى البيوت متمايلاتٍ برشاقة ودلال، وكنا نحن نراقبهن ونسير خلفهن منشدين : « يا حلوة اسقيني من هالبير دياتك زي الحرير».

في إحدى المرات، بينما كُنا نراقبهن بشغف، ونترك لألسنتنا العنان لوصف محاسنهن، مرّت من جانبنا فتاة وسمعت حديثنا، عندها صرخت علينا وأخبرت باقي الفتيات بأننا صغار ولكن «بلاوي»، ومن بعدها حُرمنا من زيارة البئر ومن رؤية الجميلات.

وفي فصل الشتاء، عندما كان يتأخر نزول المطر، كُنا نجتمع، كل واحد فينا يحمل قطعة قماش مشتعلة، وندق على أبواب الناس ونحن نصيح: «بلوا باب داركم ...»، فتخرج المرأة بيدها إبريق من الماء ترشه علينا فتمطر السماء في اليوم التالي مباشرة.

أمّا في الربيع، حيث الورود تبرز مفاتنها ورائحتها العطرة، كُنا نرتمي في أحضانها الملونة الزاهية، ونحنُ نركض خلف بعضنا البعض ونتمايل فرحًا، وعندما يحل المساء نجمع ضُمةً مِن الورد نصنع بها عقداً جميلاً لأمهاتنا حتى لا يطالنا العقاب بسبب تأخُرنا. مضت أيامنا هكذا كلها فرح وضحك ولعب. كانت علاقاتنا قائمة على الحب المتبادل، لم نعرف يومًا لون الحزن أو الكره؛ إلا عندما هُجرنا من أرضنا.

تنادي أمي من خلف الباب: «تعال أنت و جدك يا كريم الغدا صار جاهز»

يغمزني جدّي وهو يطلب مني أن أردد معه: «يا حلوة اسقيني من هالبير، دياتك متل الحرير» فنضحك وتضحك معنا جدتي وأمي، ويبادلنا ذلك الورد النابت في أصيص فوق الشباك الابتسامة من بعيد .

# ما الذي غيّر لون الطحين!

الكاتبة شيماء أبو شقرة
الراوي/ فتحية حدور
البلدة/ المجدل

«ظِلُّ عُمرنا إنْ غاب نُحييه بالصور
نَعُدُّ نقر الوجع إنْ أرهقنا الغياب
و ما إن أراد العدو منّا استسلامًا
نبني من دمعنا وطنًا
ننزف منه وإليه.» [1]

بين سنابل القمح، أشرق طيف جَدَة بدا على ملامحها تعب العمر وطول الانتظار، كانت تقص على حفيدتها تاريخ البلاد، ما كانت عليه وما آلت إليه، وتحتضنها قائلة: «يا كل البلاد، في النكبة مرَّ علينا الطغاة وجعلوا من قرانا ودمنا مآسٍ كثيرة لا عدد لها».

بدأت النكبة بالنسبة لنا عندما شاهدنا طائرتين كانت لهما مهمة حرث الأرض بالصواريخ، كانتا وكأن الكون مِلكَ جناحيهما، حيث راحت الأولى توزع الرعب على القرية المُسالمة وهي تطلق صواريخها المجنونة لتحطم المقبرة العتيقة، تخيلي يا ستي حتى الأموات لم يسلموا من شر الأحياء، كان لديهم إصرارًا كبيرًا على قتلنا أكثر من مرة! أمّا الطائرة الثانية فقد كانت تكمل مسيرة رفيقتها وتقصف الضواحي لتشرد الأحياء وكأنهما على اتفاق مسبق لقتل الأحياء مرة، وقتل الأموات مرات، حينها امتلأ المشهد بالضحايا بين قتلى وهاربين، هربت مع جموع المُشردين من بين فكي الوحش الحديدي الطائر الذي صار يفترس كل ما هو أمامه، هربنا جميعًا إلى كرمنا في السهل المجاور لبيتنا، مكثنا هناك خمسة عشر يومًا إلى أن نفذ الطحين فما كان أمام أمي خيار إلا أن ترسلني أنا وأخي أحمد لنجلب الطحين من المنزل، كنت خائفة للغاية، لو أنك كنت تراقبين خطواتنا المُثْقَلة لاعتقدتِ أننا لا نتحرك من مكاننا، كنت في خلدي ألوم أمي على هذه المخاطرة التي ألقتنا بها، ومرة أخرى كنت أهدئ نفسي وأبث الاطمئنان فيها: «إن الوحش لازال في السماء ولم ينزل إلى الأرض بعد» فتسارعت خطواتنا وكلانا يحتمي بالآخر حتى وصلنا إلى المنزل وتركتُ للعيون فرصتها لكي تتجول لتتفقد أركان المنزل وتسأل زواياه: لماذا لم ينزل الوحش بعد .. أينتظرني أن آخذ الطحين وأرحل؟!

يا له من وحشٍ طيّب! همستُ لأحمد وأنا أخفي خوفي بعدما خطفتُ ما استطعت حمله من طحينٍ وركضنا ..

---

1 – أبيات للشاعرة سمر الملفوح.

ركضت وأنا أتذكر الفرح في مواسم جمع القمح والأجواء اللطيفة وما كان يقال فيها من نكات، وما كان يصدر عنا من ضحكات كانت تزهر من أفواه الأهل وهم يحصدون القمح، يخلطونه لبيع جزءًا منه في السوق المركزي الذي يرتاده أهل المجدل والقرى المجاورة بائعين ومشترين، كان لون الطحين آنذاك قمحيًا، ولم يكن أحدًا منّا يعرف طحين هذه الأيام «الطحين الأبيض» كما يسمونه. صحيح: «هو إيش اللي غير لون الطحين يا ستي ؟!

تَمْتَمَتْ الجدّة ببضع كلمات وقالت: لون الطحين، لون الطحين .. سأخبرك، لكن يا ستي اتركيني أُكمل لك .. ما إن وصلت أمي حتّى زادت حدّة القذائف، وصدق إحساس ستك الذي لم يخيب مرة، الوحش لم يكن طيبًا، إنه لا يعرف الألفة، فقد كان يعد العدة ليفترسنا دون أن يتركنا نصنع شيئا من الطحين الذي جلبناه وعاد ليطلق قذائفه العشوائية التي كانت تصيب الشجر والحجر قبل الإنسان فركضت العائلة تغادر الكرم وأذكر أننا مشينا مسيرة يوم كامل وبضع ساعات من نهار اليوم الذي يليه دون أن يغمض لنا جفن، كان عويل الأطفال يفتت قلوبنا ونحيب الأمهات والزوجات اللاتي تأخر رجالهم في الهرب معهم، كنا نناجي اللّه أن يكون معنا، فلقد اكتشفنا فجأة أننا وحيدون، لم يتبقَ لنا إلا قلوبًا أكلها التعب إلى أن وصلنا بلدة جباليا، حتى اللحظة لا أنسى وجوه أهل البلدة الطيبين وهم يستقبلوننا بحفاوة، يخفون دموعهم وألمهم على ضياع البلاد حتى قامت «الوكالة» [٢] بنصب خيمًا تأوينا بضعة أشهر، حينئذ تعرّفت على الطحين الأبيض وصرنا نأكله حتى أكل البياض رؤوسنا، هكذا عرفنا يا بنيتي الطحين الأبيض، إنه طحين النكبة.

٢- الوكالة: هو الاختصار الشعبي لـ «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين»

# وجع الأرض

الكاتب وليد العقاد
الراوي/ عبد المجيد محمد شعث
مدينة بئر السبع

هذه الأرض مسرح الحكايات، أم التاريخ، لعنة الماضي، سيدة الوقت المنصرم، والآتي، أرضي تلك التي لم أرها سوى في عيونهم، أولئك الذين ما زالوا يخبؤون من ترابها في قلوبهم، يزرعونها حسرة وآلمًا آملين أن تُزهر من جديد.

ما زلنا نزرع الأرض في مخيلتنا، ونحصد إصرارًا على البقاء في ذاكِرتها، مُتمسّكين بالحجر والشجر، ومتشبثين بحق وجودنا وعودتنا.

مائلاً على نفسه من التعب، تبدو آثار المرض واضحة على جسده النحيل، انفتحت إحدى عينيه كثقبِ مغارة مظلمة ينبلجُ منها شعاع الحياة، كانت لديّ رغبةً جامحة لسماع قصص الماضي. ماضي البلاد أو ما اصطلح عليه زمن النكبة، فاهتزّت شجرة عمره حينما قلت له: يا جدنا أخبرني عن تلكَ الأيام القديمة، فلقد شممتُ فيكَ عبق الوطن الذي اشتقنا إليه كثيراً.

صمتَ الجد لبرهة، بعدها عدّل من جلسته وقال: «هل ستحتمل مرارة ما ستسمع؟» لم أتردد في الإجابة: بالتأكد يا جدي، فكما لنا حق في الأرض، لنا حق في وجعها أيضًا! وجلست جواره وبدأ يسرد ماضيه.

كنتُ صغيراً وقتها «مشاغبًا من الدرجة الأولى» كما كانوا يقولون عني، عندما جاءت الحرب أصبحتُ قويًا يعتمدُ عليه.

كان جميع أهل القرية يقفون معًا يدًا بيد نقاتل دفاعًا عن أرضنا .. أخذت الدموع تنساب من عينيه ببطء متحسرًا على ما مضى، كل هذه السنين الطويلة أبعدته عن بلاده وأرضه التي يحب، أكمل حديثه قائلاً: في وقت النفير كان الجميع يستعد ويبيع ما يملك من ذهب ومدّخرات، ليوصي «الهجّان»[1] ، ليشتري له السلاح من مصر، كان يغيبُ لشهرٍ ثم يأتي بالسلاح لرجال القرية الذين يقومون بحراستنا من الأعداء وقطاع الطرق فكل عائلة تقوم بتعيين شخصٍ للحراسة مجهز ببندقية خفيفة.

تساءلت ماذا حصل وقت التهجير؟ فقال الجد: «شردنا لما سمعنا صوت الضرب والطخ، جاء فارس على حصان يجري ويقول: «اشردوا.. اشردوا.. أجو اليهود» هرب الجميع وأنا معهم تاركين كل شيء خلفنا، وفي منتصف الطريق عاد إلى القرية، ولمّا سألته عن سبب عودته قال: «مالي غير بلدي، رجعت بس ما كان فيها حدا .. كلهم كانوا شاردين».

حلوة البلاد ياحج؟: تنهد تاريخًا ضائعًا وقال: «يا الله زي هلقيت كنا نتصايد عصافير» كانت بئر السبع مشهورة

بالزراعة، كان فيها الشعير، والقمح، وذرة سنونية وبطيخ وذرة البيضاء، و»الكرسنة» ٢، وأيضاً القرع، واللوبيا، والباميا، والفقوس والشمام.

صار حوارنا يدخل في سياقات عديدة متنقلين في زوايا الذاكرة من مكان إلى آخر، كنا نريد أن نلمَّ بكل ما فاتنا من أيام ماضية، لكن سرعة الوقت تختصر لنا الإجابة، فسألته عن حال الحياة كيف كانت؟

بشغف متسارع قال الجد «عبد المجيد» أن الحياة كانت بسيطة وجميلة، هي حياة لا تخلو من التعب ولكنها بفائدة، فما أجمل أنّ تأكل من تعبك بعد حراثة الأرض، وما أجمل أنّ تتنفس الطبيعة وأنّ تمشي أميالاً لترى جمال وروعة الخالق، تكلم الجد عن بيوت الطين والقش، ومن الندرة أن تجد بيوتًا مصنوعة من الحجر، وحده مختار القرية من يملك بيتًا من الحجر. تنهد ثم أردف قائلاً: «كان في خير كثير وأراضي كثيرة، بس كله ضاع من بين ايدينا».

١ – الهجان: الجندي الذي يركب الجمل.

٢– الكرسنة: نوع نباتي علفي يتبع جنس الدبيقية من الفصيلة البقولية ويشبه البرسيم.

الكاتبة / نور شعت
الراوي/ شوكية شعت
المدينة/ بئر السبع ا

# ولكن الأعداء لا يمزحون

كنتُ فرحًا جدًا بشهادتي المدرسية، يومها قطعت المسافة بين المدرسة والبيت بسرعة البرق، وما إن وصلت حتى اقتحمته دون استئذان فوجدت جدي غافيًا على فرشته التي عادة ما تتوسط فناء البيت، فأيقظته صيحاتي فزجرني بصوته الخشن أن أهدأ قليلًا وأناوله الماء كي يروي عطشه – لا أدري لماذا يهتم العجائز بالهدوء دومًا، وشرب الماء بعد الاستيقاظ؟!

بعد ارتوائه بالماء والرضى، قاطعت هدوئه مداعباً إياه: هل تمكنت من الحصول على شهادة كهذه في صغرك، كي تزمجر لي وتصرخ في وجهي؟

لم يكن جدي مستريحًا في جلسته، ولو كان كذلك لنالني منه ما نالني من عقاب، فاعتدل وظهرت عليه علامات الاهتمام، بالعادة لا يأخذ جدي حديثنا على محمل الجد، أما هذه المرة فرأيته في عينيه الكثير من الكلام الذي بدا ظاهرًا من ترتيبه للسرير ووضعه للمخدة بشكل مختلف خلف ظهره ليرتاح أكثر في جلسته، وقال: هل أنت مستعد لتدخل آلة الزمن معي؟!

إلى متى ستستخف بي يا جدي .. وهل هناك – أصلًا – آلة زمن؟! ابتسم جدي وقال: لم يخبرني أحد يا (شقيّ) ولكني أعتبرها أمنية كبيرة من أجل أن أعود معها إلى بلدتنا، وعاد جدي وهو يأخذني من يدي .. البيوت ملفوفة حول بعضها وكأنها عصب المدينة الحي، أنظر في كل مكان، النساء يحلبن الأبقار والأطفال يلعبون والرجال يزرعون أشتال اللوز الأخضر.

– جدي أين نحن؟، وما هذا الزمن الذي أوصلتني إليه؟!

– لا تتسرع يا صغيري ستعرف كل شيء، وأردف قائلا: لا أحد يرانا، فقط نحن نرى الجميع، مرَّ من أمامي رجلًا مفتول العضلات، أشرت له بيدي من هذا؟ قال: هذا أبي.

لم أهتم كثيرًا، كان المنظر جميلاً فرُحت ألهو وأعدو حتى اصطدمت بطفل يُشبهني فصاح جدي، فسألته ما بك يا عجوز، فقال: هذا أنا الذي اصطدمت به، كان جدي يبلغ من العمر عشر سنوات في الوقت الذي عدنا إليه.

جدي المكان جميل جدًا، أخبرني أين نحن؟ فنظر نحوي وقال بكل ألم: نحن في مدينة «بئر السبع» ا المكان الذي هُجّرت منه قبل ٦٠ سنة!

وفي أثناء حديثنا كانت بعض الجِمال تقطع الطريق، فسألت: إلى أين يذهبون يا جدي؟ فرد عليّ: هناك ناحية النهر يبحثون عن الماء، كان الناس يقطعون الطريق للنهر ليأتوا بالماء في أربع ساعات ذهابًا وإيابا، كانوا يملؤون الجرّات التي تكفي ليوم واحد.

– ألم يوجد لديكم ماء صالح غير النهر؟

– كنا قبل الشتاء نحفر عيونًا في الأرض حتى إذا ما جاء الشتاء امتلأت تلك العيون بالماء ونستغلها في الشراب والزراعة.

كان النهار قد بدأ بإغلاق عينية فملت قليلاً على جدي وطلبت منه العودة .. فقال ليس بعد، سأريك ما كنت أقصده من هذه الرحلة: انظر لذلك المكان المسيّج، أتراه؟

– نعم يا جدي إنه بعيد ومُهمل .. هو مهمل بالفعل منذ ما يزيد عن نصف قرن، هذا المكان كان يفترض أن يكون مدرسة ولكن لم يتم هذا لأننا رحلنا قسرًا من أرضنا، فلولا ذلك، ما كنت تستطيع أن تقول لي: هل أمتلك مثل شهادتك! كنت أمزح معك يا جدي، أعرف يا ولدي، ولكن الأعداء لا يمزحون.

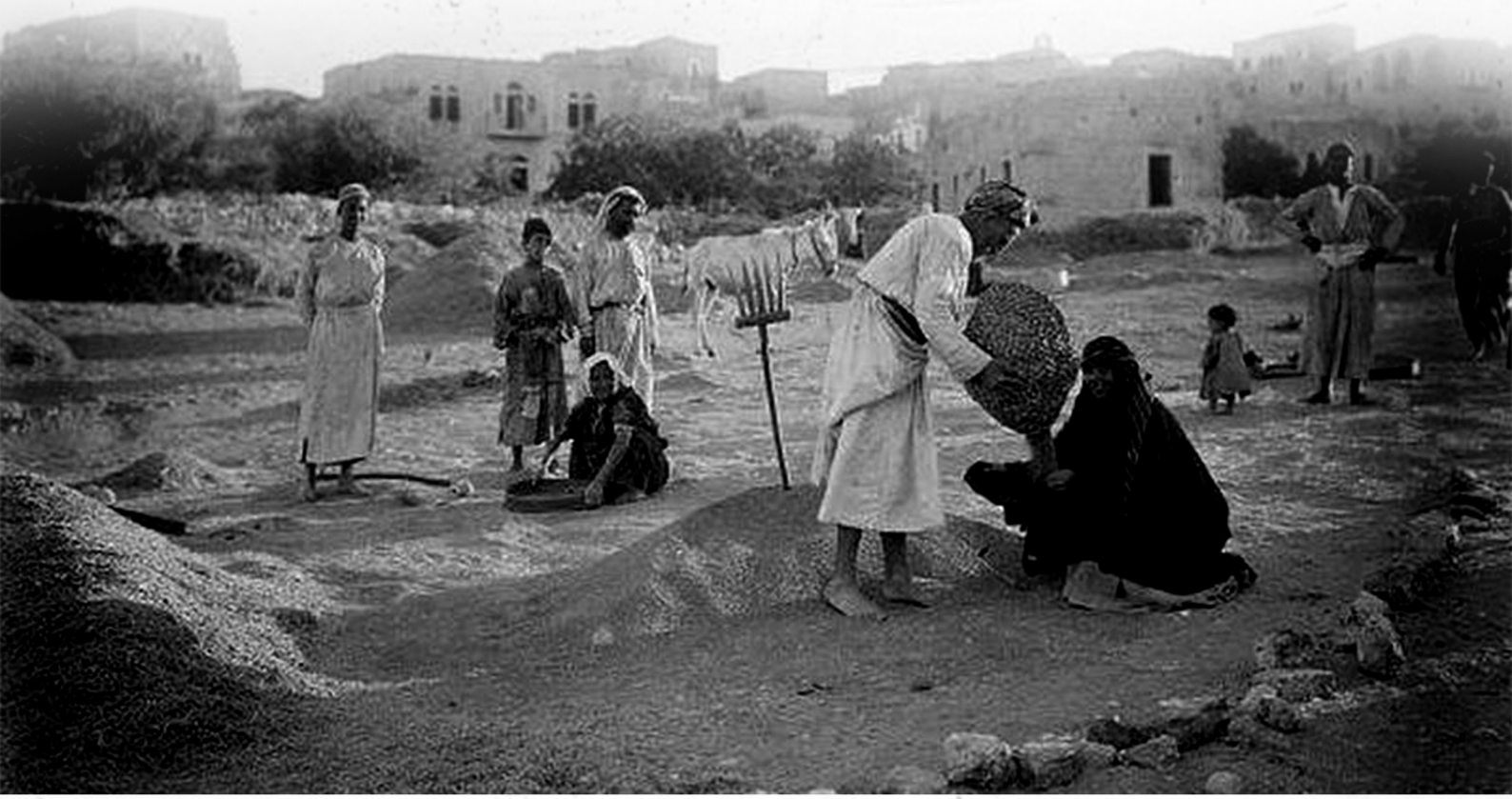

١ – بئر السبع: مدينة فلسطينية تعد من مدن فلسطين التاريخية، تقع اليوم في جنوب فلسطين على بعد ٧١ كم جنوب غرب القدس وهي أكبر مدن منطقة النقب الصحراوية.

**تنسيق و متابعة :**

عبد الهادي عبد الهادي

**تحرير ومتابعة :**

محمود جمال جودة

**تدقيق ومراجعة**

الصالون الأدبي

**فريق العمل الميداني:**

نور عدنان شعث

فاطمة تيسير عبدالله

غادة سفيان القصاص

كريم ناصر أبو الروس

عامر نعم المصري

وليد عدنان العقاد

أدهم عبد الرحيم العقاد

شيماء أحمد أبو شقرة

**تصميم وإخراج وصورة الغلاف :**

محمود توفيق الحاج

**الصور الفوتوغرافية:**

أُخذت من أرشيف النكبة على شبكة الإنترنت